اصول فقه حوزه دو فصلنامه علمی ـ پژوهشی
سال هفتم | شماره دهم | بهار و تابستان ۱۴۰۲
دریافت: ۱۴۰۲/۰۱/۲۸ پذیرش: ۱۴۰۲/۰۴/۱۲
مقاله پژوهشی، صص ۴۷ـ ۷۲

الإطلاق المقامی و شرائطها مع التأکید علی رأی السید الحکیم قدس سره

محسن آخوندی[۱]

الموجز

الاطلاق المقامی، من العناوین الحدیثة التی تناولها العلماء المتاخرون فی بحث الشک فی تعبدیة واجب او توصلیته دون ان یحدّدوا حقیقته و شرایط اعماله و فوارقه عن الاطلاق الفظی. فجدیر ان یبحث عنه بحثاً تحلیلیاً کقاعدة مستقلة یبیّن فیه الزوایا المختفیة فیه من خلال التأمل فی کلمات الفقهاء عند ما تمسّکوا به لاستنباط بعض الاحکام. انّ التعرّض الی الاطلاق المقامی و ان نشأ فی کلمات الاصولیین فی مقام الشک فی تعبدیة فعل و توصلیته لنفی مدخلیة احتمال قید کقصد القربة فی حصول غرض المولی من امره لکن نری انّه فی طیّ المباحث الفقهیة استخدم لنفی جزء مشکوک فی العبادة او شرط محتمل فی صحّة المعاملة او لرفض واجب مستقل فی جنب الواجبات المستقلة او لتنقیح موضوع الاحکام وسعة دائرة القواعد الفقهیه بل حتی استند الیه فی تعیین مجاری بعض الاصول کالاستصحاب ویمکن ان یکون استناد الاصولیین عند ما بنوا علی حمل الامر علی الوجوب التعینی و العینی عند احتمال

---

۱. هیئت علمی جامعة المصطفی العالمیه، m.a.akhoundi@gmail.com

التخییریه و الکفائیة فی واجب الیه. امّا بالنسبة الی شرائط اعمال الاطلاق المقامی فهو موقوف علی احراز المقدمات الحکمة کالاطلاق اللفظی مع فرق بینهما و هو ان احراز کون الشارع فی مقام البیان فی الاطلاق المقامی لا یثبت الا من خلال قرینة خاصة و حجة معتبرة علیه و لایمکن لاحرازه الاتکال علی اصل عقلایی کاصالة البیان خلافاً للاطلاق اللفظی و نتیجة جریان الاطلاق اللفظی تکون دائما رفض قید فی متعلق الحکم و بالتالی توسعة الحکم ولکن نتیجة جریان الاطلاق المقامی تارة تکون اثبات قید بمقتضی حکم العرف و تارة نفی القید و توسعة دائرة الحکم.

الکلمات المفتاحیة: الاطلاق اللفظی، الاطلاق المقامی، مقدمات الحکمة، مقام البیان، الاطلاق الحکمی.

مقدمة

یوجد فی کلمات المتأخرین عند الاستدلال علی بعض الأحکام، الاستناد بإطلاق قد یقیّد بعنوان المقامی، فی قبال الإطلاق اللفظی الذی یعنون به عدم ذکر قید من القیود و الحالات الطارئة علی جنس فی مقام بیان تمام الحکم مع إمکان المولی بتقیید المتعلق بالقید الذی دخیل فیه علی الرغم من أنّ الإطلاق اللفظی کان عنوانا سائداً شایعاً بین الأصولیین و استندوا به فی کثیر من المقامات، فی الفقه و الأصول، لکن الإطلاق المقامی، لیس عنواناً عریقاً شایعاً فی کلمات الأصولیین و حتّی لا نری هذا الاصطلاح عند المحقق الخراسانی فی کتابه الدراسیة فی الحوزات العلمیة و إن أشار إلیه عندما تعرّض لبحث الشکّ فی تعبّدیة واجب أو توصلیته فإنّه بعد ما حقّق عدم إمکان التمسّک بالإطلاق اللفظی لإثبات عدم دخل قصد الأمر فی متعلقه و إثبات توصلیته استدرک و قال: «نعم إذا کان الآمر فی مقامٍ بصدد بیان تمام ما له دخلٌ فی حصول غرضه و إن لم یکن له دخلٌ فی متعلق أمره و معه سکت فی المقام و لم ینصب دلالة علی دخل قصد الامتثال فی حصوله کان هذا قرینة علی عدم دخله فی غرضه و إلّا لکان سکوته نقضاً له و خلاف الحکمة» (الخراسانی، ۱٤۳۱ق، ج۱، ص۱۰۸) و کلامه هذا ناظر إلی الإطلاق المقامی.

فإذن لا توجد أرضیة قدیمة لهذا البحث و دراسة جامعة و مفصّلة استوعبت جمیع جوانب هذا الموضوع کما لانری بحثاً مستقلاً منه فی التصنیفات المبسوطة عند المتأخرین و فی نهایة المطاف ذکر بعض شؤونها بشکل متناثر فی الکتب الاصولیة و جاء بعض تطبیقاته خلال المباحث الفقهیة ولانجد مقالات فی هذا المجال الا القلیل کمقالة الشیخ محمد قائینی «دراسات و بحوث: الاطلاق المقامی» و مقالة عن محمد باقر خلیل الشیخ: «الاطلاق

المقامی» و لیس المقصود فیها التعرض الی جمیع الجوانب الذی استهدفناه فی هذا المقال مع التأکید علی رأی السید الحکیم. فتری أنّه حقیق أن نبحث فی مقالة حول هذا الموضوع و نبحث عن حقیقة الإطلاق المقامی و مقوّماته و موارد استعماله و فوارقه عن الإطلاق اللفظی و الجهات المشترکة التی فیهما و شرائط جریانه و هل هو مشروط بمقدمات الحکمة کما أنّ التمسک بالإطلاق اللفظی مشروط بها و هل فی کیفیة إحراز هذه المقدّمات بینها فرق؟ و ما أنظار الفقهاء و مواقفهم قبال هذا الإطلاق و مدی اهتمامهم به و سعة استخدامهم به فی استنباطهم الفقهیة و نموذجاً السید الحکیم من جهابذه الفقهاء الذی له أنظار رائعة و آراء جدیدة عمیقة ما هو نظره بالنسبة إلیه الأسئلة التی أطرحت حوله و مدی اهتمامه به فی الفقه و الأصول.

۱ـ حقیقة الإطلاق المقامی

عند ما ندرس کلمات الأصولیین فی هذا المجال، نجد أنّ هذا الإطلاق عندهم له ارتباط وثیق بالغرض المتکلم خلافاً للإطلاق اللفظی الّذی له کمال الارتباط بإطلاق الکلام الّذی جاء لبیان الحکم. بینما نحصل عن طریق الإطلاق المقامی علی أنّ غرض المتکلم من حکمه غیر منوط بغیر ما جاء به، نحرز فی الإطلاق اللفظی أنّ ما جاء به المتکلم فی بیان متعلّق التکلیف تمام ما أراد به من متعلّق التکلیف استناداً إلی قاعدة من العقلاء فی مقام التفهیم و التفاهم بالألفاظ و هی أنّ کل متکلم إذا کان فی مقام بیان حکم، یبیّن جمیع ما له دخلٌ فی الحکم فإذا لم یقل قیداً فیستنتج أنّه لیس له دخلٌ فی الحکم، هذا إذا کان بإمکانه تقیید الحکم بجمیع ما له دخلٌ فی الحکم.

بعبارة أخری أنّ الإطلاق اللفظی سنخ طریق لإثبات المراد الجدُّی من الکلام علی ضوء قاعدة التطابق بین المراد الجدّی و المراد الاستعمالی (صدر، ۱٤۱۷ق، ج۳، ص٤۱۱) بخلاف الإطلاق المقامی فإنّه سنخ طریق یحرز به غرض المتکلم. نحن فی الإطلاق اللفظی فی مقام

التعرف للمراد الاستعمالی و فی الغایة نصل إ لی المراد الجدّی ولکن فی الإطلاق المقامی نحن فی مقام التعرّف بجمیع ما له دخل فی غرض المولی من الحکم و نقول أنّ المولی إذا کان فی مقام بیان کلّ ما یرتبط بغرضه و فرض أنّ غرضه من الحکم لا یحصل إلّا ببیان قید من القیود بحیث لو سکت عنه لم یتحقق غرضه فعلیه بیان مدخلیة ذلک القید فی الغرض و إلّا مخلّاً لغرضه و مخالفاً لما تقتضیه الحکمة (الخراسانی، ١٤٣١ق، ج١، ص١٠٨).

٢ـ مقومات الإطلاق المقامی

علی ضوء ما ذکر فی حقیقة الإطلاق المقامی نتحصل علی أنّه متقوّم بأربعة أرکان:

الأوّل: إحراز کون المولی فی مقام بیان تمام ما له دخل فی غرضه

لا یمکن أن یُتمسّک بالإطلاق المقامی لإثبات عدم دخل قید محتمل فی حصول غرض المولی إلّا أن یثبت اوّلاً أنّ المولی فی مقام بیان جمیع ما له دخلٌ فی غرضه و مع ذلک سکت عن القید المحتمل و سکوته حینئذ یکون قرینة علی عدم دخله فی غرضه و أمّا إذا کان المولی فی مقام بیان التکلیف و تحدید متعلّقه دون التعرّض إلی کیفیة امتثاله و القیود الدخیلة فی تحصیل غرضه من التکلیف العقل یحکم بالاشتغال لأنّ الشکّ هاهنا فی الخروج عن عهدة التکلیف المعلوم و العقل یحکم بلزوم تحصیل البرائة القطعیة عنه (الخراسانی، ١٤٣١ق، ج١، ص١٠٩) ولکن إذا أحرزنا أنّ المولی فی مقام بیان تمام ما له دخل فی غرضه و مع ذلک سکت عن القید الذی نحتمل أن یکون دخیلاً فی حصول غرضه، السکوت فی ذلک المقام دالٌّ و قرینة علی عدم دخله فی تحصیل غرضه.

الثانی: احتمال دخل القید فی الغرض

احتمال مدخلیة قید فی حصول غرض المولی و ان لم یکن قیداً للمتعلّق، رکن لجریان الاطلاق المقامی کما إذا احتملنا أنّ غرض المولی من التکلیف لا یحصل إلّا بامتثال متعلّقه

بقصد الأمر فإنّ متعلّق الأمر لا يمكن أن يتقيّد بقصد الأمر و حتى لو أراد المولى أن يبيّن دخل هذا القيد فی تحصيل غرضه لا يمكن بيانه من خلال بيان قيد للمتعلق بل هذا الأمر لا يحصل إلّا عن طريق أخر كبيانه بعبارة مستقلّة و لأجل ذلک نجد أنّ فقهاء كمثل السيد الحكيم كثيراً ما يعبّرون عن الإطلاق اللفظی بالإطلاق الذی يقابل التّقييد بخلاف الإطلاق المقامی الذی لا يقابله التقييد.

لذا نرى السيد الحكيم بعد أن يذكر أنّ مقتضى الإطلاق عند ما يأمر الشارع إلى فعل أن يكون وجوبه تعيينياً لا تخييرياً، يصرّح بأنّ هذا الإطلاق ليس الإطلاق المقابل للتقييد ـكما يظهر من المحقق الخراسانی و غيرهـ بل بمعنى ما يستفاد من الكلام مع التجرّد عن القرينة إلّا بناءً على بعض المبانی غير المرضيّة فی حقيقة الوجوب التخييری (الحكيم، ١٤١٤ق، ج١) فالإطلاق مستفادٌ من خلال التجرّد عن أی قرينة تدلّ على أنّ حصول غرض المولى يتوفّر بإتيان بدلٍ للمكلف به و معلوم وجود البدل للمكلف به لا يكون قيداً له فالإطلاق اللفظی يريد أن ينفی قيداً على تقدير وجوده يضيّق دائرة المفهوم، أمّا الإطلاق المقامی ينفی دخل أمر وراء إتيان المأموربه فی حصول الغرض كما ننفی دخل المضمضة و الاستنشاق فی حصول الطهارة من غسل الوجه و اليدين و مسح الرأس و الرجلين عند ما نرى أنّ المولى سكت عنهما فی مقام بيان أجزاء الوضوء.

الثالث: توقف حصول غرض المولى على بيانه

إذا أردنا أن نثبت عدم دخل قيد فی غرض المولى عن خلال سكوته عنه فی كلامه الذی صدر عنه فی مقام بيان غرضه، يجب أن نثبت أنّ غرض المولى لا يتحصّل إلّا عن طريق بيانه و إلّا إذا وجد سبيل إلى تحصيل غرض المولى عن طريق آخر كحكم العقل أو بناء العرف يمكن أن يفترض سكوته لأجل استغنائه عن بيانه لوجود الدليل العقلی أو العرفی و فی هذا الحال لا يدلّ سكوت المولى و إطلاق كلامه على أنّ هذا القيد ليس له دخالة فی غرضه. يجب

ان ينبّه هنا الى نكتة مهمة و هى أنّ للتمسک بالاطلاق المقامى لنفى دخالة قيد فى غرض المولى يجب ان يكون القيد من القيود التى يكون مغفولا عنها لدى العرف، لأنّ القيد اذا كان من القيود المحتمل دخلها فى حصول الغرض عند العرف فالعقل يحكم بلزوم تحصيل القيد حتى يحصل له اليقين بحصول البرائة عن التكليف المعلوم و لذا نرى آنّ المحقق العراقى لنفى احتمال قصد القربة بالاطلاق المقامى مال الى انّ قيد داعوية امر المولى فى امتثال امره من القيود المغفول عنها عند عامّة الناس و بالتالى يصح التمسک بالاطلاق المقامى لنفيه (العراقى، ١٤١٧ق، ج١، ١٩٩).

هذا الركن و إن لم يشر إليه المحقق الآخوند عند تعرضه لإطلاق المقامى، ولكن أشار إليه عند بيان الأصل فيما إذا شكّ فى دخل القيد فى الغرض حيث قال: «إنّ كلّ ما يحتمل بدواً دخله فى الامتثال أمرا كان مما يغفل عنه غالبا العامّة كان على الآمر بيانه و نصب قرينة على دخله واقعاً و إلّا لأخلّ بما هو همّه و غرضه أمّا إذا لم ينصب دلالة على دخله كشف عن عدم دخله و بذلك يمكن القطع بعدم دخل الوجه و التمييز فى الطاعة بالعبادة حيث ليس منهما عين و لا أثر فى الأخبار و الآثار و كانا ممّا يغفل عنه العامة و إن احتمل اعتباره بعض الخاصة.» (الخراسانى، ١٤٣١ق، ج١، ص١٠٩).

كلّما تحقّق دخل قيد كقصد الأمر مثلاً فى حصول غرض المولى من الأمر بوجه من الوجوه فيجب أن يؤخذ به كما إذا احتملنا دخل قيد فى مقام امتثال امر المولى و تحصيل غرضه و كان القيد من الأمور الملتفت إليه عند العرف و كان محتملاً عرفاً دخله فى الغرض، يجب علينا إتيانه للخروج عن عهدته فأنّه يمكن أن يكون سكوت المولى عنه لأجل الاتكال على العرف، و أمّا إذا كان القيد من القيود التى لا يلتفت إليه العامة غالباً فضلاً عن أن يحكم بلزومه و المولى كان بصدد بيان تمام غرضه فى كلامه و سكت عن ذلک القيد، فللتمسّک بالإطلاق المقامى لنفى ذلک القيد مجالٌ واسع و ما يفهمه العرف من إطلاق كلام المولى فهو محكّم

وبذلک ننفی لزوم قصد التمییز و الوجه فی العبادات (التبریزی، ١٤٢٦ق، ج١، ص١٢؛ الخوئی، ١٤١٤ق، ج١، ص٥٠).

الکلام نفسه یجری بالنسبة الی سعة دائرة بعض الموضوعات، فإنّ بعض الکلمات التی أخذت موضوعا للاحکام الشرعیه وان کان وضعاً و لغةً لها سعةٌ و شمول متناسبة مع ارادة الشارع فی الحکم، لکن دائرة شمول هذه الکلمات صارت فی نظر العرف اضیق من دائرته لغة، ففی هذه الحالة علی الشارع ان ینبّه العرف و یصرّح علی غرضه و شمول ارادته من الکلام فاطلاق کلامه فی هذا المقام یؤیّد العرف فی تضییق دائرة کلامه. انّ العرف اذا واجه هذه الروایة «أنّ الماء طاهرٌ لا ینجسه شیء إلّا إذا تغیّر أحد أوصافه الثلاثة» یفهم منه إناطة النجاسة بالتغیر الحسّی و إن کان بالدقّة یعلم أنّه کثیرا ما یحصل بملاقاة النجاسة تغییرٌ فی الواقع و إن لم نحسّه إلّا أنّ أدلة التغییر تنزّل علی ما کان تغییراً عند العرف و هذا لا یجری بالنسبة إلی التغییرات التی لا نحسّها لأنّ هذه المصادیق من المصادیق المغفول عنها لدی العرف فإنّ الإطلاق المقامی یقتضی شمول الحکم للمصادیق التی یحسّ العرف بوقوع التغییر فیه بملاقاة النجاسة و لا یشمل المصادیق التی لا یلتفت العرف إلی وقوع التغییر فیه.

ولکن السید الحکیم﵀ بعد بیان عدم کفایة التغییر الواقعی و اختصاص التغییر فی الروایات بالتغیر الحسّی أشار إلی نکتة و هی شمول التغییر بالنسبة کل تغیّر قابل للإدراک بالحسّ و إن لم ندرکه حسّاً بالفعل لوجود مانع من ظهوره کما لو وقع فی الماء المتغیر بطاهر أحمر دمٌ مثلاً فینبغی الحکم بنجاسته لتحقّق التغیّر حقیقةً غایة الأمر أنّه مستور عن الحسّ للمانع من ظهوره مع صلاحیته للظهور فالمعتبر فعلیة التغیر کما هو مقتضی الأدلة لا فعلیة الظهور للحسّ لعدم الدلیل علیه و إنّما اعتبرت شأنیة الظهور للحسّ لتحدید التغیّر المستفاد من الأدلة اعتباره. (الحکیم، ١٤١٧ق، ج١، ص٩٩).

کما أنّ الشهید الصدر ایضاً استدل بالإطلاق المقامی و استفاد من آیة الشریفة «و إن کنتم

جنباً فاطهروا» وجوب التطهير بالماء المطلق على الجنب و إن كان عنوان التطهير لغةً غير متقوم به ولكن لمّا كان التطهير بغير الماء مغفولٌ عند العرف، يحمل التطهير على المصاديق العرفية. (صدر، ١٤٠٨ق، ج١، ص٤٢).

و الذى نستنتج ممّا استفدناه من كلمات الفقهاء ضابطة كليّة مهمّة و هى كلّما ذكر الشارع كبرى كليّة و يكون له مصاديق متعدّدة مع كيفيات مختلفة و سكت عن تحديد المصاديق يكون مقتضى الإطلاق المقامى الحمل على المصاديق العرفية دون المصاديق التى تكون العرف غافلاً عنها و لعلّ من أجل ذلک قال الشيخ الأعظم فى بداية كتاب البيع أنّ البيع موضوعٌ للنقل المؤثر فقوله تعالى «أحلّ اللّه البيع» يدلّ على أنّ الشارع أحلّ البيع المؤثر للنقل ولكن حيث لم ينظر الشارع إلى مصاديق خاصّة و لم يحدّده فهو موكولٌ إلى العرف يشمل بإطلاقه المصاديق التى تكون فى نظر العرف مؤثراً. (الانصارى، ١٤٢٢ق، ج٣، ص٢٠).

الرابع: عدم إشارة الأخبار إليه

الركن الأخير من الإطلاق المقامى أن لا يأتى المتكلم فى كلامه قرينة على التقييد. بيّن النائينى هذا الركن بقوله: «أن لا يأتى المتكلم فى كلامه ما يدلّ على اعتبار خصوصية وجودية أو عدمية فى متعلّق حكمه أو موضوعه لا متصلاً بكلامه و لا منفصلاً عنه ضرورة أنّه مع الإتيان بالقرينة المتصلة لا ينعقد ظهور للكلام من أوّل الأمر إلّا فى الماهية المأخوذة بشرط شىء و مع الإتيان بالقرينة المنفصلة لا ينعقد الظهور التصديقى الكاشف عن مراد المتكلم.» (نائينى، ١٣٥٢، ج١، ص٥٢٩). فإذا سكت المتكلم عن القيد و أطلق كلامه فإنّ إطلاق كلامه فى مقام الإثبات إنّما يكشف عن الإطلاق فى مقام الثبوت كما أشار إليه المحقق الخوئى بقوله: «إذا لم يأت بقرينة فيثبت لكلامه إطلاق كاشف عن الإطلاق فى مقام الثبوت، لتبعية مقام الإثبات لمقام الثبوت، ضرورة أنّ إطلاق الكلام أو تقييده فى مقام الإثبات معلول لإطلاق الإرادة أو تقييدها فى مقام الواقع و الثبوت. و على الجملة فالإرادة التفهيمية هى العلّة لإبراز الكلام و

إظهاره فی مقام الإثبات، فانّ المتکلم إذا أراد تفهیم شیء یبرزه فی الخارج بلفظ، فعندئذ إن لم ینصب قرینة منفصلة علی الخلاف کشف ذلك عن أنّ الإرادة التفهیمیة مطابقة للإرادة الجدّیة و إلّا لم تکن مطابقة لها.» (الخوئی، ١٤١٤ق، ج٥، ص٣٧٠).

علی ضوء هذه المقدمات یمکن التمسک بإطلاق کلام المولی و إحراز عدم دخل القید المحتمل فی ثبوت الحکم.

٣ـ نظرة فی حصر الإطلاق المقامی فی تحصیل الغرض

هذا الذی ذکرناه ما استفدناه من کلمات المحقق الخراسانی (الخراسانی، ١٤٣١ق، ج١، ص١٠٨) و شراح کلامه (سلطان العلما، ١٣٧١ق، ج٢، ص٨٢) ولکن فیه مجالاتٌ للتأمّل، یمکن استفادتها من مطاوی مباحث سائر الفقهاء کالسید الحکیم منها عدم انحصار الإطلاق المقامی فی تحصیل الغرض فإنّ مورد کلام المحقق الخراسانی کان فی موردٍ دخل القید فی الغرض لأنّه کان فی مقام بیان الأصل فی الشک فی التعبد به و التوصلیة و فیها نشکّ فی أنّ غرض المولی هل یحصل بمجرّد إتیان المتعلق أو یجب قصد امتثال الأمر معه و من أجل ذلک رکّزوا فی تعریف حقیقة الإطلاق المقامی علی غرض المولی ولکن نجد الفقهاء یتمسکون بإطلاق المقامی علی نفی جزء مشکوک فی الواجب کما أنهم عند الشک فی أنّ المضمضة و الاستنشاق هل یکون من أجزاء الوضوء، یستندون بالإطلاق المقامی عند ما حکی المعصوم علیه السلام وضوء رسول اللّه صلی الله علیه و آله أشار إلی غسل الوجه و الیدین و المسحات دون أن یشیر إلی المضمضة و الاستنشاق (الطوسی، ١٤٠٧ق، ج١، ص٧٦) و معلوم أنّ الترديد فی هذا المثال من الصورتین من الوضوء لا فی غرض المولی من الواجب.

فالفرق الجوهری الذی ینبغی أن یلاحظ بین الإطلاق اللفظی و المقامی، أنّ الإطلاق اللفظی یرید أن ینتفی قیداً علی تقدیر وجوده یضیّق دائرة مفهوم لفظ جامع کما أنّ إطلاق الرقبة یصیر سبباً لشمول مفهوم الرقبة بالنسبة إلی الکافرة و المؤمنة و تقییده بأحدهما یضیّق دائرة

الشمول و الإطلاق المقامی لیس فی مقام تضییق مهفوم، بل یمکن أن یکون فی مقام نفی قید فی حصول الغرض و یمکن أن یکون فی مقام إثبالت قسم خاص من أقسام الحکم کما استندوا إلیه فی إثبات القسم الخاص من الوجوب و جعلوا الإطلاق المقامی ذریعة إلی إثبات الوجوب النفسی و التعیینی فی قبال الوجوب الغیری و التخییری کما یمکن أن یستخدم لتحدید موضوع الأحکام و تنقیحه و من خلاله یمکن أن یحکم ببقاء الموضوع و إمکان جریان الاستصحاب.

۴ـ الإطلاق المقامی و الوجوب النفسی و التعیینی عند السید الحکیم رحمه الله

ذکر المحقق الخراسانی عند التعرض إلی تقسیم الواجب إلی النفسی و غیری، أنّ مقتضی إطلاق الصیغة کون التکلیف نفسیاً لما هو المعلوم من توقف التکلیف الغیری بالمقدمة علی فعلیة التکلیف النفسی بذیها فلا یصحّ البحث إلیها إلّا مقیداً بذلک و هو خلاف إطلاق الصیغة. فمن خلال عدم تقیید الأمر بتکلیف آخر یفهم أنّ مطلوبیته غیر مقیدة و وجوبه نفسی (الخراسانی، ۱٤۳۱ق، ج۱، ص۱۱۰).

لکن أشکل السید الحکیم علی هذا الاستدلال بأنّ المقدمیة لیس من الحالات الطارئة علی فعل حتّی یصیر موجباً لتقیید الأمر به لو کان الأمر بلحاظ المقدمیة و لذا یحتمل أن یتعلق الأمر أو النهی المطلق بشیء لبیان المقدمیة لوضوح أنّ المقدمیة لو کانت، لا تختصّ بحالٍ دون حالٍ فیصحّ إطلاق البعث الوارد لبیانها و لا تنافی إطلاق الصیغة. (الحکیم، ۱٤۱٤ق، ج۱، ص۳۵۲).

مع ذلک أثبت السید الحکیم الوجوب النفسی عن طریق إطلاق آخر سمّاها بالإطلاق السیاقی فی قبال الإطلاق اللفظی المقابل للتقیید و قال: «أنه یمکن إثبات کون الأمر نفسیاً بالإطلاق السیاقی للأمر، فإنّ المستفاد عرفاً من إطلاق الأمر بالشیء کونه بنفسه مورداً للغرض، بحیث یدعو أمره له استقلالاً، و یحصل الغرض الأقصی من الأمر بالإتیان به، و یسقط التکلیف به تبعاً لذلک بلا حاجة إلی ضمّ شیء إلیه، کما هو الحال فی المأمور به النفسی،

بخلاف المأمور به الغیری، لوضوح أنّه لا یدعو إلی متعلقه إلّا فی طول داعویة الأمر النفسی إلی متعلقه.» (نفس المصدر، ص۳۵۳).

و کلامه الأخیر شاهدٌ علی أنّه ألحق الوجوب النفسی بالوجوب التوصّلی فکما لا یمکن إثبات توصّلیة واجب بالإطلاق اللفظی لا یمکن إثبات النفسیة عن هذا الطریق و فی کلتا المسألتین یمکن أن نثبت النفسیة و التوصلیة عن طریق إطلاق آخر یسمّی بالإطلاق المقامی.

کما أنّ السید الحکیم عند الشکّ فی کون أمر تعیینیاً أو تخییریاً یصرّح بأنّ مقتضی الإطلاق البناء علی کون الأمر تعیینیاً لا تخییریاً و أنّ هذا الإطلاق لیس الإطلاق المقابل للتقیید کما یظهر من المحقق الخراسانیﷺ و غیره بل بمعنی ما یستفاد من الکلام إلّا بناءً علی بعض المبانی غیر المرضیة فی حقیقة الوجوب التخییری (نفس المصدر، ص۳۷۳).

۵ـ الإطلاق المقامی و الشکّ فی اعتبار شرط فی صحّة المعاملة عند السید الحکیم

إذا احتملنا اعتبار قید فی صحة معاملة بحیث احتملنا مخالفة الشرع للعرف فی ردّ ید تشریعیة تقلب موضوع الحکم کما اعتبر الشارع أن لا یکون المبیع کلباً أو خمراً فإنّه بنظر الشارع أنّهما لا یکونان مالاً فلا یکون البیع الواقع علیهما بیعاً فی نظره و لیس إطلاق «أحل اللّه البیع» شاملاً للبیع علیهما ففی مثل هذه الموارد لا یمکن التمسّک بالإطلاق اللفظی لأنّه فرع إحراز صدق عنوان المعاملة و لا یمکن إحراز العنوان عند احتمال قید فیها شرعاً. أمّا التمسک بالإطلاق المقامی لإثبات عدم اعتبار القید فی المعاملة هل یمکن؟ بدعوی أنّ الشارع لو کان البیع عنده غیر البیع عند العرف لکان علیه البیان لأنّ الإنسان العرفی سیطبّق بطبیعته إطلاقات الشارع علی ما لدیه من مصادیق.

السید الحکیم فی الجواب عن هذا السؤال یقسم الإطلاقات الواردة علی النحوین: تارةً تتکفّل ببیان نفوذ المعاملة و امضاء نفس المعاملة لقوله: «الوقوف علی حسب ما یقفها أهلها...» و أخری تتکفّل ببیان أحکامها الآخر بعد تحقق المعاملة کوجوب الإنفاق علی الزوجیة بعد النکاح.

أمّا بالنسبة إلى القسم الأوّل فهو يرى أنّ التمسّک بالإطلاق اللفظی ممکن و قال فی هذا المقام: «أما الأولی: فلا إشکال فی إمکان التمسّك بها، أمّا بناءً علی ما عرفت من وضعها للأعم فظاهر. و کذا بناءً علی وضعها للصحیح العرفی. نعم، لا بدّ علیه من إحراز صحة المعاملة عرفاً، لعدم تحقق عنوان المطلق بدونه. و أمّا بناءً علی وضعها للصحیح شرعاً، أو بما له من مفهوم إضافی صالح للانطباق علی الصحیح الشرعی، فلما ذکرناه آنفاً من أنّ الصحیح الشرعی لا یقبل الإمضاء شرعاً، فلا بدّ من تنزیل دلیل الإمضاء علی الاستعمال فی الأعم، أو فی الصحیح العرفی.» (الحکیم، ١٤١٤ق، ج١، ص٢١٩).

أمّا بالنسبة بالقسم الثانی، لمّا کان ترتب الحکم علی المعاملة فرع نفوذها و صحتها فموضوع الأحکام یقیّد بالصحة و مع الشک بالصحة لا یمکن التمسک بالإطلاق اللفظی مع أنّ الظاهر من إطلاق عناوین مأخوذة فی دلیل الشارع کالزوجة، وجودها الاعتباری التابع لإمضائها و أمّا بالنسبة إلی التمسک بالإطلاق المقامی فقال السید الحکیم رحمه الله:

«نعم، یمکن التمسّك بالإطلاقات المقامیة لأدلة الأحکام المذکورة، لأن خطاب الشارع للعرف بأحکام المضامین الاعتباریة من دون أن یتصدّی لبیان مورد اعتباره لها ظاهر فی الاکتفاء فی بیانه علی ما عند العرف و عدم خروجه علیهم فیه، کما هو الحال فی خطابات الموالی العرفیین ایضاً، حیث لا إشکال فی رجوع عبیدهم فی معرفة مورد اعتبارهم إلی ما علیه العرف العام عند عدم تصدّیهم لبیان مورد الاعتبار مع وضوح إمکان خروجهم عمّا علیه العرف المذکور، کالشارع.» (نفس المصدر، ص٢٢١).

بما استعرضناه یظهر جلیاً أنّ من موارد إعمال الإطلاقات المقامیة، الشک فی شرطیة قید فی صحّة المعاملة دون احتمال القید فی غرض المولی.

٦ـ الإطلاق المقامی و تنقیح موضوع الأحکام

إنّ جعل الأحکام بید الشارع و هو الذی یحدّد موضوعاتها و یرتّب الأحکام المختلفة علی

موضوعاتها بحسب المصالح و المفاسد و يبيّنها للناس فی خطابات و بيانات شرعية لكنّ الخطابات الشرعية ملقاة إلى العرف. فهو الذی يأخذ الحكم و يطبق عمله على ما فهمه من الخطاب. فحينئذ تتدخل الأنظار العرفية فی تنقيح موضوعات الأحكام و المرتكزات فی أذهان العرف تعتبر بمثابة القرائن المتصلة بالكلام و التی تحدّد المراد من الألفاظ و تعيّن مفاهيم الألفاظ إذا كان بيان الشارع ذی وجوه و ذی احتمالات مختلفة.

دور العرف تارة فی ناحية تبيين مفاهيم الألفاظ و تحديد معانيه و تارة تكون فی ناحية تشخيص المصاديق و تطبيق المفاهيم فهنا نرى أنّ الأنظار العرفية و مسامحاتها تدخل فی تعيين ما هو الظاهر من الألفاظ و تحديد سعة دلالتها و يكون نظر العرف هو المرجع فی تعيين مفاهيم الألفاظ سعةً و ضيقاً و تنقيح موضوعات الأحكام و لهذا امثلة كثيرة فی الفقه:

الآية الشريفة تأمر الزوج بإمساك الزوجة بمعروف أو تسريحها بإحسان و بالتالی تدلّ على وجوب النفقة تحت عنوان الإمساك بمعروف و بما أنّ المعروف من العرف و هو الشائع و المستساغ فإذا فهم العرف أنّ نفقة الزوجة يجب فی زماننا يجب أن تكون أتم و أكمل ممّا كان فی غابر السنين حتى تكون معروفة نتيجة لاختلاف الظروف الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية فهذا من موارد تدخل العرف فی فهم موضوع الحكم الشرعی حيث لم يبينها الشارع بحدود شرعية معينة فألقى خطابه إلى العرف و لم يقيدها بقيد خاص فالإطلاق المقامی يوجب نفی قيد خاص شرعاً و تنقيح الموضوع وفق نظر العرف.

۷ـ دور الإطلاق المقامی فی تنقيح الموضوع فی كلام السيد الحكيم

السيد الحكيم أشار إلى نوعين من الشک فی موضوع الحكم و إمكان التمسّک بالإطلاق المقامی فی كليهما و قال: «أنّ الشك فی العنوان المأخوذ فی القضايا الشرعية التی تقع مورداً لعمل المكلف، تارة: يتعلق بمفهومه، كالشك فی مفهوم الحج، و الصلاة، و الصعيد، و الغناء. و أخرى: بتطبيقه مع وضوح مفهومه، كالشكّ فی تحقق البيع، و الإقالة، و الطلاق ببعض

الألفاظ الخاصة. و فی کلیهما إن أمکن الرجوع للشارع، لتعرّضه للجهة المشکوك فیها فهو، و إلّا کان مقتضی الإطلاقات المقامیة الإیکال للعرف فیهما.» (الحکیم، ١٤١٤ق، ج٥، ص١٠٤). فهو یری العرف مرجعاً للتطبیق کما یراه مرجعاً فی تعیین المفهوم خلافاً للمشهور الذی یری أنّ المرجع فی التطبیق هو العقل لا العرف لأنّ مبنی العرف فی مقام التطبیق و العمل علی التسامح فإنّ العرف یطبّق الصاع من الحنطة علی ما هو مخلوط منه و من مقدار یسیر من التراب کما هو الغالب فی الخارج و یطبق عنوان الماء علی المیاه الممتزجة بالجصّ و نحوه ممّا لا یخلوا منه الماء غالباً.

هذه التطبیقات عند المشهور لیس بحجة لأنّ العرف معترف بأنّ التراب المخلوط مع الحنطة لیس بحنطة فیکون مقدار الحنطة أقلّ من الصاع الواجب أدائه للزکاة مثلاً و کذلک یعلم العرف بأنّ الموضوع الذی جعله الشارع مطهراً هو الماء لا المائع الممتزجة بالجصّ و نحوه الذی یطلق علیه الماء بالمسامحة عرفاً ولکن هذه المسامحات فی نظر السید الحکیم لا یوجب رفض العرف فی تطبیقاته بل یوجب أن نقول أنّ المرجع فی التطبیق هو العرف الدقّی و ینطبق مثلاً الماء علی الممتزج بالزاج و الجص و غیرهما بالدقة العرفیة و لو لم ینطبق علیه بالدقة العقلیة.

قال السید فی هذا المجال: «أنه بعد فرض کون القضیة عملیة و توقف العمل بها علی تطبیق العناوین المأخوذة فیها، و فرض عدم تعرّضه لذلك، فالظاهر منه إیکال تطبیقها للعرف المخاطبین بها بحسب ما یتیسّر لهم و یصلون إلیه بالوجه المتعارف لهم. و إرادة خلاف ذلك تحتاج إلی عنایة و تنبیه و لا مجال للبناء علیها بدونه. نعم، لا بدّ من کون التطبیق حقیقیاً بنظر العرف، و لا مجال للاکتفاء بتطبیقاتهم التسامحیة المبنیة علی نحو من المجاز و إعمال العنایة، لخروجها عن ظاهر الإطلاق، حیث لا یعولون علیها فی خطاباتهم و أحکامهم و امتثالاتهم.» (نفس المصدر).

۸ـ الاطلاق المقامی و دلالته علی الحکم الشرعی

قد یستند الی الاطلاق المقامی لاستنباط الحکم شرعی و یستفاد من سکوت المولی عن حکم عند بیانه لحکم آخر ماهو رای الشارع بالنسبة الی الحکم المسکوت عنه. کما قال المحقق الخویی :«ربما یستدل علی إغناء کل غسل عن الوضوء بأن الاخبار الواردة فی الاغسال علی کثرتها من الحیض و الجنابة و مس المیت و الاستحاضة و النفاس ساکتةعن بیان وجوب الوضوء مع الاغسال فلو کان واجباً معها لکان علیهم‌السلام البیان کباقی الواجبات مع الغسل و من سکوت الاخبار و هی فی مقام البیان نستکشف عدم وجوب الوضوء مع الغسل و انه یغنی عن الوضوء مطلقاً» (الخویی، ١٤١٨ق، ج٧ ص٤٨).

کما استدلوا ایضاً بآیة الشریفة:«احل لکم الطیبات و ما علمتم من الجوارح مکلبین تعلمونهن مما علمکم اللّه فکلوا مما امسکن علیکم و اذکروا اسم اللّه علیه» (سورة المائده، آیهٔ ٤) علی جواز الاکل بما اصطاده الکلب المعلم بدون حاجة الی تطهیر محل غض الکلب مع انه نجس و القاعدة تقتضی وجوب التطهیر ولکن لما کانت الآیة فی مقام بیان الوظیفة تجاه صید الکلب و بیّن جواز الاکل بدون الاشارة الی لزوم تطهیره و سکت عن لزومه فهذا السکوت یدل علی عدم وجوب تطهیره.

لکن یمکن الاشکال علی الاستدلالین فی کلا المقامین بان المولی فی کلیهما کان فی مقام بیان حکم آخر و لیس فی مقام بیان الحکم المشکوک المسکوت عنها فانه فی المقام الاولی یکون فی بیان موجبات الغسل و أنّ الجنابة و الحیض و الاستحاضة و النفاس من مو جبات الغسل و لیس الشارع فی مقام بیان تمام الوظیفة للمکلف حتی نستفید من سکوته تجاه الوضوء بان الوضوء لیس بلازم و الغسل یغنی عنه و فی المقام الثانی ایضاً الآیة فی مقام بیان حلیّة صید الکلب من حیث التذکیة ولیس فی مقام بیان حکم الصید من حیث طهارته و عدم لزوم تطهیر محل الغض حتی نستفید عدم لزومه للاکل.

۹ـ الإطلاق المقامی و سعة القواعد الفقهية

الإطلاق المقامی کما یستخدم لتنقیح موضوع الأحکام و استنباط الحکم الشرعی یستعمل لتعیین سعة القواعد الفقهیة أو الأصول العملیة فنری آنّه یتمسّک به لتحدید دائرة قاعدة لا ضرر المستفاد من قوله‌ﷺ: «لا ضرر و لا ضرار فی الإسلام» (الحر العاملی، ۱۳۹۸ق، ج۱۸، ص۳۲). لا إشکال فی أنّ الضرر فی الحدیث یشمل الضرر الحقیقی کقطع الید لادخل لاعتبار العقلاء فی هذا القسم من الضرر ولکن یمکن تصوّر القسمین الآخرین من الضرر یکون منشأه اعتبار عقلائی أی باعتبار أنّ العرف یعترف بوجود حق خاص فی مورد یعتبر عدم رعایة ذلک الحق ضرراً علیه فتشمل الحدیث الضرر العرفی الذی یکون فی طول الحق المرتکز عرفاً و یمکن أن یکون العرف الحاکم بالحق هو العرف الخاص فینطبق عنوان الضرر علی نقض الحق عند عرف یعتبر الحق فی ذلک المورد. فإنّه بمنظار ذلک العرف یکون نقصه ضرراً بخلاف منظار عرف لا یعتبر ذلک الحق.

فهل یشمل الحدیث هذه الإضرار الاعتباریة أم یشمل الإضرار الحقیقیة فقط؟ قال الشهید الصدر: «یمکن إثبات شمول الحدیث لهذا النوع من الإضرار بأحد تقریبین: الأول: دعوی الإطلاق اللفظی فی الحدیث، لأنّ الشارع عند ما یخاطب العرف یقصد بألفاظه ما هو معناها عرفاً و خارجاً، و مفهوم الضرر عرفاً یشمل الضرر الحقیقی و الارتکازی فإنّه فی طول ترسّخ ذلك الحق ارتکازاً یری ذلك النقص ضرراً لا محالة. الثانی: دعوی الإطلاق المقامی، فإنّه لو فرض أنّ الضرر لا یشمل إلّا الضرر الحقیقی أو الضرر الاعتباری الّذی یقبله المتکلم نفسه مع ذلك قلنا بأنّ المتکلم إذا کان فی مقام البیان لا الإجمال فسوف ینعقد لخطابه إطلاق مقامی یدلّ علی إمضائه لنفس الاعتبارات العقلائیة و العرفیة و اعتماده علیها فی تعیین ما هو الضرر، فکأنّه اعتمد علی الارتکاز العرفی فی تحدید مراده.» (صدر، ۱٤۱۷ق، ج۵، ص٤۸٦).

علی ضوء رسوخ الإضرار الاعتباریة فی أذهان العرف صار عنوان الضررشاملا للاضرار

الاعتبارية عندهم بحيث لو كان هذا الشمول غير مقبول عند الشارع يجب على الشارع التنبيه عليه و حيث لم يرد التنبيه من قبله يثبت اعتباره شرعاً بمقتضى الإطلاق المقامى فلو التزمنا بأنّ المعصومعليه السلام المبيّن للشريعة مكلّف بتبيينها حتى بالنسبة إلى الأعصارالآتية، يجب عليه رفع الغفلة و الجهالة عن جميع المكلفين فى تطبيق الضرر على ما يعدّونه ضرراً فحيث لم يردعهم الشارع فيثبت شمول الضرر فى الحديث، للضرر العرفى فى كلّ عصر و إلّا فتختصّ بما كان فى عصره.

١٠ـ الإطلاق المقامى و إناطة الاستصحاب ببقاء الموضوع عرفاً

لمّا كان حقيقة الاستصحاب إبقاء ما كان يجب أن يحرز بقاء الموضوع الذى كان سابقاً له حكم و شكّ فى بقاء حكمه حتى نبقى حكمه ولكن وقع الكلام فى معيار تعيين الموضوع لأنّ الموضوع يختلف باختلاف المعيار فيه و المعيار يدور بين النظر العقلى الدقّى و لسان الدليل و النظر العرفى المسامحى و لا يمكن أن يكون المرجع النظر الدقى لأنّه يوجب عدم جريان الاستصحاب مطلقاً لأنّ الشكّ فى بقاء الحكم لا يكون إلّا للشكّ فى بقاء بعض ما يعتبر فى موضوعها لامتناع الشك فى الحكم مع بقاء موضوعه بتمام ما يعتبر فيه دقة فالمعيار فى تشخيص الموضوع و بقائه إمّا العنوان الذى أخذ فى لسان الدليل فلا يمكن استصحاب النجاسة بعد زوال التغير إذا كان موضوع النجاسة فى لسان الدليل الماء المتغير و أمّا العرف فإنّ العرفى قد يدرک بملاحظة مناسبة الحكم و الموضوع عدم دخل بعض الأمور فى الموضوع و إن أخذت عنواناً فيه كعنوان التغير الذى يرى العرف أنّه علّة لثبوت النجاسة للماء و أنّ موضوعها ليس إلّا الماء بذاته فيصحّ الاستصحاب مع بقائه و إن ذهب التغير كما قد يدرک تقوّم الموضوع ببعض الأمر و إن لم تؤخذ فى الأدلة عنواناً له.

إنّ الأدلة لم تتعرض للمرجع فى إحراز وحدة الموضوع و إن كان المعروف من شيخنا الأعظم و من تأخر عنه هو الرجوع للعرف فى تحديد موضوع الاستصحاب فيما يستفاد من

كلمات المحقق الخراسانیﷺ فی توجیه ذلک، أنّ ذلک هو المنساق من النقض فی أخبار الاستصحاب بمقتضی الإطلاق المقامی لأنّه بعد أن کان المعیار فی صدقه مختلفاً کان عدم تنبیه الشارع الأقدس علی معیار خاص فیه ظاهراً فی الإیکال إلی العرف فی فهمه و تطبیقه.

السید الحکیمﷺ بعد تسلّم مرجعیة العرف فی فهم المفاهیم أشکل علی النتیجة التی استنبطوها من الإطلاق المقامی فی المقام و قال: «انه لا اجمال فی مفهوم النقض و لیس الاختلاف فی تطبیقه ناشئا من الاختلاف فی مفهومه کی یرجع فی تحدیده للعرف و لو بتطبیقهم له فی بعض موارد الشک لکون تطبیقهم کاشفاً عن ادراکهم تحقق المفهوم و ان لم یتسنّ لهم تحدیدهم بحدود مفهومیه بل لیس النقض حسبما یستفاد من أدلة الاستصحاب الا رفع الید عن الامر المتیقن و عدم البناء علی استمراره المتفرع علی کون المشکوک الذی هو مورد للعمل بقاء المتیقن لاتحاده معه فی الموضوع فلابدّ فیه من تحدید موضوع القضیة المتیقنة اولا یالوجدان او بالدلیل ثم العلم باتحاد القضیة المشکوکة معها فیه حقیقة ولا معنی للاکتفاء فی صدق النقض بالنظر العرفی التسامحی لعدم التعویل علیه فی تطبیق مفاد الدلیل بعد وضوح معناه و حدوده فی سائر الموارد» (الحکیم، ١٤١٤ق، ج٥، ص٩٩).

فالسید الحکیم فی رأیه النظر العرفی حاکم فی تعیین مفاهیم الالفاظ و سعة دلالته لکن اذا لم یبینه الشارع و فیه خفاء و اجمال اما اذا کان کلام الشارع وافیا بالمقصود لامجال للرجوع الی العرف.

١١ـ الاطلاق المقامی و ارادة المحل الشرعی فی قاعدة التجاوز

انّ المجعول فی قاعدة التجاوز هو البناء علی وجود الجزءالمشکوک اتیانه و التعبد به اذا فرض حصول الشک فیه بعد التجاوز عنه و هذه قاعدة عامة تجری فی الصلاة علی رأی المحقق النائینی و فی غیرها ایضاً من الواجبات المرکبة (الانصاری، ١٤٢٢ق، ج٢، ص٧٠٩) فمورد قاعدة التجاوز هو الشک فی وجود الشئ بعد التجاوز و معلوم أن التجاوز عن الشئ

لایصدق حقیقة مع الشک فی اتیانه و وجوده فلابد من إعمال عنایة بأن یکون المراد من التجاوزعن الشئ هو التجاوز عن محله (الخوئی، واعظ حسینی، ١٤٢٠ق، ج٢، ص٢٣٩) و لکن الکلام فی المعیار فی تعیین محل الشئ. هل المعیار فی تعیین المحل النظر العرفی او الشرعی فیه خلاف فبعض علی أن التجاوز و المضی موقوف علی الدخول فی الجزء الآتی المترتب علیه شرعا کما یرتب السجود علی الرکوع و القیام علی السجود فلایصدق التجاوز عن السجود بالشروع فی النهوض للقیام بلحاظ عدم کون الشروع فی النهوض جزء مترتباً شرعاً الی السجود بل یمکن الرجوع الی السجود اذا تیقّن بعدم اتیان السجود فی هذه الحالة ولکن الشروع فی النهوض یعتبر مقدمة للقیام الصلاتی بعد از تحقق السجود. فبما انّ کون شئ محلاً لشئ لیس تابعاً لعلاقة حقیقیة بینهما لاتقبل الاختلاف و التبدل بل هو امرٌ اضافیٌ یختلف باختلاف جهة الاضافه من اعتبار شرعی او عرفی او عادة او عقل او نحوها فلا بدّ من ملاحظة خصوص جهة تصلح لانتزاع النسبة المذکورة.

قال السید الحکیم رحمه‌الله: « المناسب للشارع ارادة ما یتعلق به و یرجع الیه و هو خصوص المحل الشرعی و توهّم انّ مقتضی الاطلاق الاکتفاء بکل جهة صالحة لانتزاع عنوان المحلّ شرعیة کانت ام غیرها مدفوع بأنّ الاطلاق انمّا ینهض بالغاء القیود الزائدة علی المفهوم و خصوصیة الجهات المختلفة لیست مقیدة لمفهوم المحل بل معیار فی صدقه و مصحح لانتزاعه و اطلاق العنوان لا یتکفل بذالک بل المتکفل به الاطلاق المقامی و هو یقتضی کون المعیار المحل العرفی لو لم یکن هناک محلٌ شرعی و الا کان هو المتعین کما ذکرنا.» (الحکیم، ١٤١٤ق، ج٥، ص٤٢٢).

١٢ـ فوارق اساسیة بین الاطلاق المقامی و اللفظی

انّ بین الاطلاق اللفظی و الاطلاق المقامی فوارق اساسیة بلحاظ سعة موارد جریانهما و شرایط اعمالهما و ما یستفاد منهما؛ نشیر الی اهمّ منها:

الاوّل: شرايط جريان الاطلاق المقامی

فان الاطلاق سواء كان لفظيا او مقاميا لابد فی جريانهما من احراز مقدمات الحكمة فكما انّ الاطلاق اللفظی مع اتكاله على اتيان لفظ جنس جامع للمصاديق الكثيرة ولكن بما ان الشيوع و الاطلاق ليس مفهوماً من نفس اللفظ فلايستفاد من دلالة وضعية فيحتاج جريانها الى احراز مقدمات من الخارج يسمى بمقدمات الحكمة. اذا كان هكذا حال الاطلاق اللفظی فالاطلاق المقامی غير المتكل على ایّ لفظ فهو اولى باشتراطه على احراز المقدمات الحكمة فلا بدّ من جريانه من احراز انّ المتكلم فی مقام البيان و انّه مع انه قادر على اتيان القيودات الدخيلة لم يجئ بالقيد و سكت عنه فمن هذا السكوت ندرک ان القيد غير دخيل فی الحكم.

فالاطلاقان من جهة الحاجة الى مقدمات الحكمة سيّان ولكن يمكن ان نلاحظ فرقا فی متعلق البيان فان فی الاطلاق اللفظی يجب ان نحرز انه فی مقام بيان الحكم مع متعلقه بجميع القيودات الدخيلة فی الحكم قد يحرز بالقطع او الاطمينان بأنّ المتكلم فی مقام البيان ففی هذه الصورة لاشک فی جريان الاطلاق اللفظی؛ لكن اذا شككنا ان المتكلم فی بيان متعلقه مع قيوده افلا يمكن احرازه بالاصل العقلايی. قال المحقق الخراسانی: «لايبعد ان يكون الاصل فيما اذا شک فی كون المتكلم فی مقام بيان تمام المراد، هو كونه بصدد بيانه و ذلک لما جرت عليه سيرة اهل المحاورات من التمسک بالاطلاقات فيما اذا لم يكن هناک ما يوجب صرف وجهها الى جهة خاصة.» (الخراسانی، ١٤٢٧ق، ج٢، ص٢١٧).

و هذا الاصل يمكن ان يبرّر بان كلّ متكلّم اذا تكلّم بكلام و بيّن حكما فيبين جميع القيودات الدخيلة فی متعلقه و بعبارة اخرى كل متكلم كل ما يريده يبينه فاذا لم يقل قيدا فلم يريده فی ذلک الحكم واقعا. فعدم ذكر القيد فی كلامه يدلّ على عدم دخالة القيد فی الحكم. هذا بالنسبة الى الاطلاق اللفظی الذی يرفض قيدا من متعلق الحكم المأتی به فی الكلام و هنا يمكن رفض القيد استنادا الى الوجه الغالب فی لسان المحاورة بان كل متكلم كلما يريده يقوله

و يبينه فی كلامه. و اما بالنسبة الی الاطلاق المقامی فبما انه غير مستند الی اتيان لفظ جنس جامع للمصاديق الكثيرة و عدم ذكر قيد من القيودات الطارئة عليه، فلا مجال لجريان اصالة البيان فيه. بل لابدّ فيه ان يحرز بقرينة خاصّة تدلّ علی انّه فی مقام البيان من الجهة التی نريد رفض القيد من تلک الجهة و من اجل ذلک ادّعی الشيخ الانصاری انّ ما جاء فی الكتاب العزيز من الاطلاقات ليس فی مقام البيان و لايمكن التمسک بها لرفض شرط او جزء فيها اذ احتملنا دخله فی الحكم لانّ هذه الاطلاقات فی مقام بيان اصل التشريع و لايكون فی مقام بيان كل ما له دخل فی الحكم حتی يتمسک بالاطلاق و عدم ذكر القيد علی عدم دخله فی الحكم. (الانصاری، ١٤٢٢ق، ج١، ص١٥٥).

الثانی: سعة موارد الاطلاق المقامی

ذكرنا ان الاطلاق اللفظی يتمسک به لرفض قيد من القيودات الطارئة علی اسم الجنس الّذی أتی به المتكلّم حيث لم يبيّنه و لم يقيّده بهذا القيد فی كلامه و هذا يدلّ علی عدم ارادته ولكنّ الاطلاق المقامی ليس دائماً فی مقام رفض قيد من قيودات المتعلق بل ان الاطلاق المقامی كما يمكن ان يستند اليه لنفی جزء من الواجب المركب اذا احرز ان المتكلم فی مقام بيان تمام اجزاء الواجب المركب؛ يستند اليه ايضاً لنفی شرط من الشرايط التی يحتمل ان تكون دخيلة فی الحكم اذا احرز انه فی مقام البيان من هذه الجهة و تارة يستخدم الاطلاق المقامی لنفی واجب مستقل كالوضوء فی جنب الغسل كما أشرنا اليه سابقا و تارة يتوسل اليه لنفی قيد فی كيفية الامتثال لتحصيل غرض المولی من الامر و من خلال هذه اثبتنا ان الاصل عدم دخل قصد الامر فی تحصيل غرض اوامر المولی. فما عرضناه من موارد اعمال الاطلاق المقامی فی كلمات الفقها شاهد علی ان موارد اعماله اوسع بكثير من موارد اعمال الاطلاق اللفظی و ليس مورده منحصر بنفی قيد من قيودات المتعلق. و اذا احرزنا ان المتكلم فی مقام البيان من جهة قيودات المتعلق بدليل معتبر و لم نتكل علی اصالة البيان فيمكن ان نستند لنفی القيد

بالاطلاق المقامی و ان کان للتمسک بالاطلاق اللفظی ایضاً مجال.

الثالث: عدم تلازم الاطلاق المقامی مع افادة الاطلاق فی الحکم

إنّ مقتضی الاطلاق اللفظی عدم دخل قید محتمل فی متعلق الحکم فاذا شککنا انّ قیدا دخیل فی المتعلق یتمسک بالاطلاق اللفظی و یرفض دخل ذلک القید فی المتعلق فاذا نتیجة اطلاق اللفظی دائما رفض القید و توسعة فی دایرة الحکم ولکن ان مقتضی الاطلاق المقامی لیس دائما رفض قید بل تارة یوجب تقیید الموضوع بقید خاص کما اشرنا الیه فی مقام التمسک بالاطلاق المقامی لاثبات المراد من محل التجاوز فی قاعدة التجاوز و قلنا ان العرف لمّا یری انّ ظاهر هذا الکلام: «کلّ شئ شکّ فیه ممّا قد جاوزه ودخل فی غیره فلیمض علیه» هو جعل محلّ معلوم لکلّ جزء من اجزاء الواجب و جعل جزء مقدما علی الآخر؛ یدرک العرف من هذا الکلام بدون وجود قید للفظ المحل ان المعیار فی صدق التجاوز هو التجاوز عن المحلّ الذی اعتبره الشارع لکل جزء منه، کما استفدنا من کلام السید الحکیم عند الشک فی نوع الواجب عند مجیئ امر من الشارع هل هو واجب تعیینی او تخییری بین خصال متعددة فالذی یستنبط من الامر هو الوجوب التعیینی، لا مطلق الوجوب الشامل للوجوب التعیینی و التخییری، فالتمسک بالاطلاق المقامی یوجّهنا الی واجب خاص و هو الواجب التعیینی.

حصیلة البحث

الإطلاق المقامی و ان لم یکن له جذور عمیقة فی کلمات المتقدمین و لا یوجد هذا الاصطلاح عندهم. ولکن اهتمّ به العلماء المتاخرین و جعلوه ذریعة و وسیلة الی استنباط بعض الاحکام او تنقیح بعض الموضوعات و تبیین مجاری بعض الاصول کالاستصحاب والقواعد الفقهیة کقاعدة التجاوز. فانا تابعنا فی دراستنا هذه المباحث القیمة التی بایدینا من العلماء الکبار لاسیما السید الحکیم الذی له آراء عمیقة و تاملات دقیقة فی هذا المجال واثبتنا انّ البحث عن الاطلاق المقامی و ان نشأ بدوا لتبیین الموقف قبال احتمال قصد الامر فی تحصیل غرض المولی

و لکن نجد من مطاوی بحوثهم انهم استفادوا منه للوصول الی امور کثیرة لا یمکن نعتبرها جمیعاً فی عنوان تحصیل غرض المولی بل نجد انهم استفادوا منه لنفی جزئیة المضمضة و الاستنشاق فی الوضوء و لنفی بعد الشرائط کالعربیة فی صحة المعاملات و نفی بعضهم وجوب الوضوء فی جنب الغسل للروایات المبینة لوجوب الغسل عند الحیض و النفاس و الجنابة و مس المیت و غیرها من دون ذکر من وجوب الوضوء فی جنب الغسل فاستفادوا منه عدم وجوب الوضوء و اشکل علیهم بأن المولی لم یکن بصدد البیان من هذه الجهة. فیجب أن یبحث عن طریق احراز البیان فی الأطلاق المقامی و متعلقة و الفرق بینه و الاطلاق اللقطی.

تنقیح موضوع الاحکام و مدی شمول القواعد الفقهیة المهمة کقاعدة لاضرر و موارد جریان اصل الاستصحاب و قاعدة التجاوز من الموارد المهمة التی استغل الاطلاق المقامی فی کلمات الفقهاء.

حصلنا من جمیع هذه المباحث أن ورود الاطلاق المقامی لا یکون منحصرا لنفی قید فی تحصیل غرض الشارع بل یمکن أن یستخدم کذریعة لنفی جزء أو قید أو شرط لعمل و حتی لنفی واجب مستقل فی جنب الواجبات الاخری و استفدنا ایضاً لزوم احراز کون الشارع فی مقام البیان لجریان الاطلاق المقامی و اللفظی کلیهما مع فرق بینهما و هو امکان احراز هذا الامر فی الاطلاق اللفظی بالاتکال الی اصل عقلائی ای اصالة البیان بخلاف الاطلاق المقامی فانه لایحرز الا بدلیل معتبر و حجة قائمة ففی هذه الصورة کما یمکن التمسک بالاطلاق اللفظی لنفی القید امکن التمسک بالاطلاق المقامی و استفدنا من موارد اعمال الاطلاق أن الاطلاق اللفظی بما أنه فی مقام رفض قید من قیود المتعلق ینتج دائما توسعة فی ناحیة المتعلق و سعة فی الحکم و لکن الاطلاق المقامی قد یثبت قیدا خاصا للحکم کما أن الاطلاق المقامی یثبت اعتبار المحل الشرعی بالخصوص فی قاعدة التجاوز و لذا لایمکن الاستناد الی هذه القاعدة عند الشک فی السجود عند الشروع فی النهوض للقیام.

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. الانصارى، مرتضى ابن محمدامين (١٤٢٢ق)، فرائد الاصول، قم، مجمع الفكر الاسلامى.

٣. ـــــــــــ (١٤٢٢ق)، المكاسب، قم، مجمع الفكر الاسلامى.

٤. تبريزى، شيخ جواد (١٤٢٦ق)، تنقيح مبانى العروة، قم، دار الصديقة الشهيدة.

٥. الحرالعاملى، محمد بن الحسن (١٣٩٨ق)، وسائل الشيعه الى تحصيل مسائل الشريعة، الطهران، المكتبة الاسلامية.

٦. الحكيم، محمدسعيد (١٤١٤ق)، المحكم فى الاصول، قم، موسسة المنار، الطبع الاول.

٧. ـــــــــــ (١٤١٧ق)، مصباح المنهاج، قم، مكتب السيد الحكيم.

٨. الخراسانى، الشيخ محمدكاظم (١٤٢٧ق)، كفاية الاصول مع تعليقة الزارعى السبزوارى، قم، مؤسسة النشر الاسلامى.

٩. الخراسانى، الشيخ محمدكاظم (١٤٣١ق)، كفاية الاصول، قم، مجمع الفكر الاسلامى.

١٠. الخوئى، ابوالقاسم (١٤١٨)، موسوعة الإمام الخويى، قم، مؤسّسة إحياء آثار الإمام الخويى.

١١. ـــــــــــ (١٤٢٠ق)، مصباح الاصول، تقرير، واعظ حسينى بهسودى، محمدسرور، قم، موسسة احياء آثار الامام الخوئى.

١٢. ـــــــــــ (١٤١٤ق)، محاضرات فى اصول الفقه، تقرير، فياض، محمداسحاق، قم، موسسة آثار الامام الخويى، الطبع الاول.

١٣. سلطان العلماء، محمد (١٣٧١ق)، الحاشية على كفاية الاصول، اراک، مطبعة الموسوى.

١٤. صدر، محمد باقر (١٤٠٨ق)، بحوث فى شرح العروة الوثقى، قم، مجمع الشهيد الصدر.

١٥. ـــــــــــ (١٤١٧ق)، بحوث فى علم الاصول، تقرير، حسينى شاهرودى، سيدمحمود، قم، موسسة دائرة المعارف الفقه الاسلامى.

١٦. طوسى، محمد بن الحسن (١٤٠٧ق)، تهذيب الاحكام، تهران، دارالكتب الاسلامية.

١٧. العراقى، ضياءالدين (١٤١٧ق)، نهايةالافكار، قم، مؤسسة النشر الاسلامى.

۱۸. القوجانی، علی (۱٤۳۰)، تعلیقة القوجانی علی کفایة الاصول، قم، ق.
۱۹. الموسوی الخمینی، روح اللّه (۱٤۲۱ق)، البیع، قم، مؤسسة تنظیم و نشر آثار الامام الخمینی.
۲۰. نائینی، محمد حسین (۱۳۷٦)، فوائد الاصول، تقریر، کاظمی، محمدعلی، قم، مؤسسة النشر الاسلامی.
۲۱. ـــــــــــ (۱۳۵۲)، اجود التقریرات، تقریر موسوی خویی، سید ابوالقاسم، قم، مطبعة العرفاًن.